

التاريخ
والآثار
المصرية
والإسلامية

علاقة الكويت بالدولة العثمانية

"منذ النشأة حتى عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م"

د. فيصل عبد الله الكندري

قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الكويت

المقدمة

تكمن أهمية الوثائق العثمانية في توضيح علاقة الدولة العثمانية بالمناطق والشعوب التي وقعت تحت سيطرتها، وهذه العلاقة لا تستطيع أن توضحها دور الأرشيفات الغربية لأنها لا تعطي الصورة الصحيحة لما كانت عليه حقيقة الأوضاع.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتتناول طبيعة علاقة الكويت بالدولة العثمانية منذ ظهور الإمارة وحتى عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م وهي السنة التي انتهت فيها فترة ولاية مدحت باشا على العراق، واعتمدنا في هذه الدراسة على بعض الوثائق المتعلقة بالكويت والموجودة في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول.

Basbakanlik Devlet Arsivleri, Genel Müdürlüğü (BDA)- Istanbul

ضمن تصنيف خاص يعرف باسم دفاتر العيديات Ayniyat، وهي عبارة عن سجلات قيدت فيها السلطات العثمانية صورة طبق الأصل من جميع المكاتبات والأمور التي تم تحريرها في دائرة الصدارة العظمى إلى مختلف النظارات (الوزارات) والدوائر والولايات وغيرها من المواقع الرسمية، ويوجد في سجلات العيديات مسودات لأغلب الوثائق الموجودة في سجلات أرشيف غرفة أوراق الباب العالي BAO، ويبلغ إجمالي عدد السجلات ١٧١٧ سجلاً أو دفترًا، وهي مقسمة في مجملها على حسب المناطق. وهناك خمسة سجلات خاصة بولايتي بغداد والبصرة^١، والسجل الذي يعيننا هنا هو السجل رقم ٨٥١ الذي يتعلق بالأوامر الصادرة من تاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٨٣ - ١٥ صفر ١٢٩٥هـ / ٩ أغسطس ١٨٦٥ - ٢٣ مارس ١٨٧٥م.

ونظرًا لما تحويه تلك الوثائق من معلومات جديدة حول طبيعة علاقة الكويت بالدولة العثمانية ولأسما خلال فترة ولاية مدحت باشا على بغداد (١٢٨٦ - ١٢٨٩هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٢م) رأينا أن نخصص هذه الدراسة لمعالجة هذه المسألة

^١ BDA , Basbakanlik Osmanli Arsivi Rehberi, 2baski, Istanbul, 2000, s 2002-209

مقارنة بوثائق الحملة العثمانية على الأحساء لعام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م الموجودة في أماكن أخرى من الأرشيف العثماني ولاسيما مجموعة الإيرادات الداخلية. وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام يتعلق القسم الأول بعلاقة الكويت بالدولة العثمانية منذ قدوم العتوب إلى الكويت وحتى عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م، وهو العام الذي تولى فيه منحت باشا ولاية بغداد وحاول بعدها أن يغير علاقة الكويت بالدولة العثمانية. موضحين فيه أهم العوامل التي دفعت العتوب إقامة علاقات حسنة مع الدولة العثمانية على إمارتهم الناشئة مع ذكر أهم العوامل التي دلت على استقلالهم الفعلي عن سيادتها.

لم القسم الثاني فيتناول علاقة الكويت بالدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من عامي ١٢٨٣-١٢٨٩هـ / ١٨٦٦-١٨٧٢م موضحين فيه جهود نامق باشا لخلق إدارة قوية وفاعلة في الكويت. ومبينين دور الكويت في الحملة العثمانية على الأحساء لعام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م، وشيرين إلى المشاركات الكويتية في تلك الحملة، وأهمية تلك المساهمات في إنجاح الحملة.

أما القسم الأخير فيوضح أهم التغييرات والمكاسب التي حققتها الكويت من خلال تلك المشاركة.

علاقة الكويت بالدولة العثمانية منذ النشأة وحتى عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م عند قدوم العتوب^١ إلى الكويت في بدايات القرن السابع عشر الميلادي^٢ سعوا إلى تأمين مركزهم بإقامة علاقات طيبة مع الدولة العثمانية، فأوفدوا زعيمهم صباح بن جابر إلى الوالي العثماني في بغداد للحصول على دعم وتأييد

٢ العتوب: هم اتحاد عشائري ضم آل الصباح والجاهمة وآل الخليفة، هاجروا من موطنهم الأصلي في إقليم الهدار بنجد إلى منطقة الخليج، وانتهى بهم المقام في الكويت، وعرفوا بالعتوب نسبة إلى فعل عكبا بسبب كثرة التقل والترحال.

٣ هناك اختلاف كبير بين المؤرخين حول بدايات تأسيس العتوب وهجرة العتوب إلى الكويت، وقد ناقش الدكتور يعقوب يوسف الغنيم هذه المسألة بالتفصيل وللوقوف على رأيه انظر: يعقوب الغنيم، الكويت تواجه الأطماع، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٨، ص ١٣-٦٠.

الدولة، وتعهدوا بحفظ الأمن والسلام في المنطقة. ووافق العثمانيون على ذلك شريطة عدم القيام بغارات على القوافل المارة في طريقهم^٤. ونلاحظ هنا أن العتوب أرادوا العيش بسلام في منطقتهم الجديدة، وهذا راجع لعدة أسباب:

١. تحقيق نوع من التوازن بين القوتين المحيطتين بهما وهما: بنو خالد^٥ الذين كانوا يسيطرون على الأحساء والقطيف، خاصة وأن الكويت كانت تدخل في دائرة نفوذهم. والدولة العثمانية التي كانت تسيطر على البصرة وبغداد، وكصد العتوب من ذلك أن يتحاشوا الوقوع تحت سيطرة أي من القوتين.

٢. حرص حكام الكويت على إضفاء الشرعية على حكمهم، وعلى كيالهم السياسي المولود حديثاً بكسب تأييد الدولة العثمانية ومساندتها كونها الدولة الإسلامية الكبرى.

٣. عدم تخوف شيوخ الكويت من تطور هذه العلاقة لصالح الدولة العثمانية بسبب حالة الفوضى والاضطراب التي كان يعاني منها العراق العثماني^٦، هذا بالإضافة إلى حصار بلاد فارس للبصرة ولحقتها خلال الأعوام ١٧٧٦-١٧٧٩م مما أضعف الوجود العثماني^٧.

كما لكت الكويت استقلالها عن الدولة العثمانية، فقامت بتقديم الدعم العسكري إليها في صراعها مع بعض القوى الأخرى كفارس والمشيخات

٤ د. ميمونة خليفة الصباح، الكويت تاريخ وحضارة ١٦١٣-١٨٠٠م، ج١، ط٣، د.م، ٢٠٠٠ ص ٩١.

٥ بنو خالد: كان لهم السيادة في شرق الجزيرة العربية في المنطقة الواقعة ما بين الكويت وحتى عمان، وانتهى حكمهم على يد الدولة السعودية الأولى عندما وجهوا لهم عدة ضربات خلال الفترة ما بين ١٧٩٣-١٧٩٥م، وسيطر بعدها السعوديون على الأحساء.

٦ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص ١٩٥.
٧ أحمد الرشيد وآخرون، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ط٢، الكويت: دار سعد الصباح، ١٩٩٣، ص ١٠٢-١٠٣؛ ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، ج٣، قطر، دت، ص ١٥٣.

العربية في منطقة الخليج العربي كالثوهابية وعرب بني كعب^٨.

وثمة حوائث وقعت تكل على استقلال الكويت عن الدولة العثمانية وهي:

١- اعتماد أهالي الكويت على أنفسهم في الدفاع عن مشيختهم ضد الهجمات التي تعرضوا لها من قبل قبائل بني كعب والمنتك في جنوب العراق، ولم ترسل الدولة العثمانية جندياً واحداً لیساعد أهالي الكويت في ذلك، وإنما كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية.

٢- كانت الكويت ملجأً للفارين من وجه السلطات العثمانية في كل من بغداد والبصرة، ومن ذلك لجوء مصطفى آغا متسلم البصرة وأخوه معروف آغا، وكذلك لجوء الشيخ ثويني شيخ قبيلة المنتك^٩ إلى الكويت عام ١٧٨٧م، وطلب الأخوان منه الحماية، بعد أن فشلوا في تمردهما ضد الدولة العثمانية حين قام الأول بمحاولة لتصل البصرة عن بغداد^{١٠}، فقام والي بغداد بصد المحاولة، وطالب والي بغداد بتسليمهما، ولكن شيخ الكويت رفض ذلك^{١١}.

٣- قرار بريطانيا بنقل الوكالة التجارية لشركة الهند الشرقية من البصرة إلى الكويت خلال عامي ١٧٩٣-١٧٩٥م بعد ظهور الخلافات بين الشركة والسلطات العثمانية^{١٢}، وهذا دل على أن هذا الاستقلال الذي كان يتمتع به حاكم الكويت هو الذي شجع البريطانيين على نقل الوكالة إلى الكويت لمدة

٨ بنو كعب: وهم عرب يرجعون في أصولهم إلى نجد، هاجروا إلى منطقة الأنبار بالعراق في القرن السابع عشر الميلادي، وأخذت قوتهم تزداد مع مرور الوقت، ونشب خلاف بينهم وبين الدولة العثمانية فطلب منهم المغادرة، وتوجهوا إلى بلاد فارس، واستولوا على مدينة النورق، وأطلقوا عليها اسم الفلاحية، وتمكن الكعبين من بناء أسطول لهم ساعدهم على مد سيطرتهم على المناطق المجاورة للنورق.

٩ المنتك أو المنتك: وهو اتحاد عشائري ضم العديد من العشائر التي تقطن جنوب حرمي العراق، تولى آل السعدون زعامة هذا الاتحاد لسنوات طويلة.

١٠ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص ٢١٦.

١١ أحمد الرشيدوي وآخرون، المرجع السابق، ص ١٠٤.

١٢ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص ٢٢٦.

- سنتين وبالتحديد من ٣٠ أبريل ١٧٩٣ ولغاية ٢٦ أغسطس ١٧٩٥م^{١٢}.
- ٤- ترحيب أمير الكويت بمندوب خورشيد باشا قائد القوات المصرية الذي وصل إلى سواحل الأحساء عام ١٨٣٨م، وساهمت سفينة كويتية في نقل الذخيرة والعتاد من ميناء الحديدة إلى القوات المصرية التي تحاصر القطيف في نوفمبر عام ١٨٣٩م^{١٤}.
- ٥- وما يؤكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية قيام حاكم الكويت الشيخ جابر بإرسال ابنه الشيخ صباح لتوقيع إتفاقية مع بريطانيا في عام ١٨٤١م، وفيها طلبت بريطانيا من شيخ الكويت جابر بن عبد الله (١٨١٣-١٨٥٩م) أن ينضم إلى إتفاقيات الهدنة التي أبرمتها مع شيوخ إمارات الخليج، ونظراً لأهمية تلك الإتفاقية نرى بأن نوردتها كاملة في الملاحق، وفيها تعهد حاكم الكويت بالمحافظة على أمن البحار، وعدم التعرض والدخول في حرب مع المشايخ العرب ممن وقعوا إتفاقيات مع بريطانيا، وأنه في حالة تعرضه للعدوان من قبل أحدهم، فإنه لا يقوم بالانتقام لنفسه، وإنما يرفع الأمر إلى السلطات البريطانية في الخليج، لتقوم بمعاقبة المسيئ، وذلك من غرة ربيع الأول ١٢٥٧هـ/ ٢٣ أبريل ١٨٤١م ولمدة سنة كاملة^{١٥}.
- ولو تساطنا عن الدوافع التي دفعت للشيخ جابر لتوقيع هذه الإتفاقية لرأينا أن تدهور الوضع السياسي في منطقة الخليج العربي بسبب إحتدام النزاع بين الدولة العثمانية وإيران، وخشية بريطانيا من أن يؤدي ذلك الملاحة في منطقة الخليج، ويؤثر سلباً على نشاط السفر البحري وتجارة الفوسج على اللؤلؤ، فدعت بريطانيا لتكوين حلف بين دول المنطقة بضمن استقرارها، ويحافظ على أمنها، ويجنب لأصحاب السفن التعرض للمخاطر الناجمة عن تلك النزاعات.

١٢ ج ج لوريمر، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٠٧؛ لعبد الرشيد، وكفرون، المرجع السابق، ص٤٧.

١٤ ج ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، ج٣، قطر، دت، ص١٥١٤.

¹⁵ Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Archive Edition, 1994, p580(R.15.5.59).

وتكشف هذه الاتفاقية عن أن الكويت كانت تتمتع باستقلال القرار السياسي عن حكومة الباب العالي في استانبول، وكان لحاكمها الحق في إبرام دون أخذ موافقة مسبقة من الدولة العثمانية. كما أشارت الاتفاقية إلى حرص الكويت على استتباب الأمن في منطقة الخليج، لذا لم تتورط السفن الكويتية في أعمال القرصنة، ولا في الاعتداء على سفن وممتلكات الآخرين^{١٦}.

كما تكشف تلك الاتفاقية عن أن شيخ الكويت حرص على عدم التورط في اتفاقيات طويلة المدى بديل أنه وكعها لسنة واحدة فقط. وإن توقيع هذه الاتفاقية لا يخرج عن رغبة شيخ الكويت لإقامة علاقات حسنة مع بريطانيا وغيرها من القوى الموجودة في المنطقة.

وفي الوقت نفسه حرص شيخ الكويت على تدعيم علاقته بالدولة العثمانية وقام برفع العلم العثماني على مقره بإضافة كلمة الكويت على لحد جوانبه^{١٧}، كما رفع العلم العثماني على سفنه لضمان أمنها في عرض البحر. وفي المقابل ألزمت السلطات العثمانية للكويت بدفع جزية سنوية تمثلت في كميات من الأرز والتمر تقدمها لوالي بغداد^{١٨}.

ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما طلبت الدولة العثمانية دعم الكويت ومساندتها في صراعاتها مع القوى المحلية. فقدمت الكويت الدعم العسكري لمساعدة متسلم البصرة عندما أغارت عليه قبائل بني كعب وحاصرته عام ١٨٢١م، ففر المتسلم واستجد بشيخ الكويت فأرسل الأخير السفن المحملة بالسلاح والعتاد، فاستعاد سيطرته على البصرة.

١٦ رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، العدد ٧، يونيو ٢٠٠٤م، ص ٨.
 ١٧ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص ٢١٢.
 ١٨ أحمد الرشيد وآخرون، المرجع السابق، ص ١٢٣. ويشرح لنا لوريمر ما يدفع شيخ الكويت للدولة العثمانية خلعاً سنوياً. ج. لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، ج ٢، قطر، دت، ص ١٥١٢.

الموجودة في البصرة للقضاء على تمرد سكان الزبير. كما تمكنت القوات العثمانية من استعادة المحمرة من بني كعب في عام ١٨٢٧م بفضل المساعدات الكويتية^{١٩}.

وفي عام ١٨٥٤م طلبت السلطات العثمانية من شيخ الكويت أن يتولى حماية ميناء البصرة وذلك بعد أن أيقنت الدولة من قوة الكويت البحرية، وذلك مقابل راتب سنوي يدفع له من خزينة الولاية^{٢٠}. وهنا انقلب الوضع رأساً على عقب فبعد أن كانت الكويت تدفع للدولة العثمانية، أصبحت الأخيرة تدفع للكويت نظير قيامها بحماية ميناء البصرة.

ومن هنا رأينا أن لتجاه الكويت للدولة العثمانية لم يكن إلا إجراء شكلياً اقتضته المصلحة السياسية للكويت، فأقام شيخ الكويت علاقات حسنة مع الدولة العثمانية لتحاكي وقوع الكويت تحت سيطرة أي من القوى المحلية التي كانت ترغب في السيطرة عليها. وكذلك للابتعاد عن الأطماع البريطانية التي كانت تتجه إلى الكويت، فحين أدرك شيوخ الكويت عجزهم عن مجاربة بريطانيا، رأوا أن أفضل طريقة لتحاكي الوقوع تحت النفوذ البريطاني هو إقامة علاقات مع الدولة العثمانية، وبرزت هنا أهمية الاتجاه على الجانب العثماني للوقوف في وجه بريطانيا.

ويؤكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية خلال هذا الوقت مجموعة من الأدلة فلم تدفع الكويت أية رسوم، ولم يكن هناك موظفون عثمانيون، ولا حاميات أو مراكز عسكرية عثمانية، هذا فضلاً عن تصرف الكويت باستقلالية تامة في شؤونها الداخلية وعلاقتها الخارجية. وهكذا نشأت علاقة وطيدة بين الجانبين عادت بالنتج على الطرفين.

١٩. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ج١، ص ٢١٤.

٢٠. أحمد الرشيد وأخرون، المرجع السابق، ص ١١٠.

علاقة الكويت بالدولة العثمانية خلال الفترة ١٢٨٣-١٢٨٩ هـ / ١٨٦٦-١٨٧٢ م
 فكرت الدولة العثمانية في إقامة حكومة مركزية قوية لفرض هيبة الدولة في
 مختلف ولاياتها، وبدأت بتطبيق هذه السياسة منذ أن تولى نامق باشا ولاية بغداد
 (١٨٦٦-٦٦م) فأراد نانق باشا أن يقبل شيخ الكويت بلقب قائم مقام، ولأن ينشئ
 مركزاً عثمانياً في الكويت لتحصيل الجمارك، ولكن شيخ الكويت رفض هذين
 الطلبين، ويقال أن نامق باشا فكر في غزو الكويت نظراً لازدياد النفوذ
 البريطاني فيها، فطلب الشيخ من بريطانيا ألا ترسو سفنها في ميناء الكويت^{٢١}،
 واكتفى برفع العلم العثماني على قصره، وعلى السفن الكويتية دون رفع أي
 رسوم للدولة العثمانية.

وتشير الوثائق العثمانية الموجودة في سجل العيديات الصادرة بتاريخ
 ٢٣ محرم ١٢٨٤ هـ / ٢٧ مايو ١٨٦٧ م والمتعلقة بهذه المسألة إلى أن السلطات
 العثمانية قررت إقامة مكتب جمركي في الكويت، وتم إرسال قوائم بالرسوم
 وختم جمركي إلى شيخ الكويت كي يدير هذا المكتب بمعرفته، ولكن لوحظ القيام
 ببعض الأعمال المخالفة للأنظمة المعمول بها في الدولة العثمانية بسبب جهلهم
 بقواعد ونظم الجمارك، وأرسلت مذكرة من أمانة الرسوم في بغداد بضرورة
 إرسال موظف عثماني إلى هناك للإشراف على إدارة أمور المكتب^{٢٢}.

وتضيف تلك الوثائق بأن السلطات العثمانية قررت إرسال موظف عثماني
 إلى الكويت براتب قدره ألف قرش ليشراف على تحصيل الرسوم على الحيوانات
 التي تخرج من أراضي الدولة العثمانية وخاصة من البصرة إلى الدول المجاورة
 عن طريق الكويت دون دفع رسوم عليها، وقررت أيضاً تعيين كاتب براتب قدره
 خمسمائة قرش، كما أرسلت إلى شيخ الكويت تعريفه الرسوم والتعليمات، ولكن
 الشيخ لم يقبل بإقامة المكتب بحجة أن الأهالي لم يوافقوا على إقامة المكتب الجمركي.

٢١ ج ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، ج٣، قطر، دت، ص ١٥٢.

٢٢ BDA, Ayniyat 851, s26 no2.

وأشارت للوثيقة إلى ضرورة إرسال قوة عسكرية إلى الكويت في حالة إصرار الشيخ على موقفه، ولكن بعد مراجعة ذوي الاختصاص رأى الأساسة العثمانيون ضرورة تأجيل النظر في هذا الموضوع وذلك في ٢٢ من جمادى الآخرة ١٢٨٤هـ / ٢١ من أكتوبر ١٨٦٧م^{٢٣}.

ونستشف من تلك الوثائق أن الوالي نامق باشا نجح أخيراً في كسب تأييد حاكم الكويت الشيخ عبد الله الثاني^{٢٤}، كما صادف ذلك رغبة الشيخ في إقامة علاقات ودية مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية وهو ما يعطي للكويت بعداً إسلامياً، فقبل الشيخ برفع العلم العثماني رمزاً للإسلام وللهوية الإسلامية. وربما كان ذلك دافعاً لدى السلطات العثمانية إلى استبعاد فكرة إرسال جيش إلى الكويت لإجبار حاكمها على قبول فتح المكتب الجمركي، ولعدم رغبة الدولة العثمانية في تحقيق مزيد من العداوات في منطقة الخليج، وحتى لا تصطدم الدولة العثمانية بالإنجليز بالذين أخذوا يحاولون السيطرة على منطقة الخليج بجدية كبيرة منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

لذا كان على الدولة العثمانية أن تتصرف بحذر شديد وأن تنتظر الوقت للملائم لتحويل وجودها الإسمي في منطقة الخليج العربي إلى واقع فعلي، وأخذت بتحسين الفرص لذلك، وتتابع الأوضاع في شبه الجزيرة العربية لعلها تجد ضالتها.

وحدث لها ذلك حين بدأت المنطقة تشهد مرحلة اضطرابات وفتن بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية في عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، والذي خلف أربعة أبناء هم عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن تصارعوا فيما بينهم، فبدأت الدولة السعودية الثانية تشهد حرباً أهلية

²³ BDA, Ayniyat 851, s27 no2.

²⁴ الشيخ عبد الله الصباح؛ وهو خامس حكام الكويت، حكم خلال الفترة ما بين ١٢٨٢-١٢٩٠هـ / ١٨٦٦-١٨٩٢م.

حين خرج سعود على سلطة أخيه عبد الله بعد عام. واحد من وفاة والده، وأخذ ينافس في السيطرة على مدن نجد والأحساء، ونجح سعود في انتزاع مدن الأحساء ونجد من أخيه عبد الله. فأخذ الأخير يجوب المنطقة بحثاً عن حليف قوي، وداعم يستطيع الاتكال عليه ليستعيد ملكه من أخيه سعود، ولم يكن أمامه إلا الاتصال بالوالي العثماني في بغداد ليقدّم له المساعدة المطلوبة والعون المنشود.^{٢٥}

الكويت والحملة العثمانية على الأحساء عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م

ولما جاء مدحت باشا^{٢٦} والياً على بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢م) خلفاً لنامق باشا، نجح في إقناع الحكومة العثمانية بضرورة استغلال النزاع للدائر بين

٢٥ لمزيد من المعلومات حول أوضاع الجزيرة العربية وللإطلاع على الوثائق العثمانية المتعلقة بالحملة العثمانية راجع: د. فيصل الكندي، الحملة العثمانية على الأحساء عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م من خلال الوثائق العثمانية، جامعة الكويت: إصدارات مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، ٢٠٠٣، ص ٢٣ وما بعدها.

٢٦ ولد مدحت باشا في استانبول في صفر ١٢٢٨هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٨٢٢م، وسمي بأحمد شفيق، حفظ القرآن في سن مبكرة للقب بحافظ شفيق، وأعطى لقب مدحت بسبب مواهبه العالية، فطغى هذا اللقب على اسمه وصار يعرف به. تعلم اللغة العربية والفارسية في صغره في جامع الفاتح. ثم تعلم بعد ذلك اللغى الفرنسية، وكان هذا بداية اطلاعه على أوروبا وأوروبا. وفي عام ١٨٥٩ أصبح مدحت رئيس سكرتارية المجلس الأعلى. وعام ١٨٦٤ عين والياً على طونه (الدانوب) وهي ولاية جديدة ظهرت ضمن تشكيلات إيالة سلسترا، وقام بالعديد من الإصلاحات هناك كانت سبباً في انتشار صيته ورفعة مكانته عند الساسة العثمانيين. وفي ٢٧ فبراير ١٨٦٩م نقل والياً على مدينة بغداد وأظهر هناك مجدداً قدرة كبيرة على الإدارة، ونجح في إعادة الهيمنة العثمانية على نجد. إلا أنه اصطدم مع الصدر الأعظم الجديد محمود نديم باشا حول إيرادات الولاية فقدم استقالته، وعاد إلى استانبول في مايو ١٨٧٢. ولم يتركه نديم باشا في استانبول فعينه والياً على أترنه. ولكن سرعان ما عينه السلطان عبد العزيز صدراً أعظم خلفاً لنديم باشا في عام ١٨٧٢م، إلا أن فترة صدارته الأولى - تستمر أكثر من ٨٠ يوماً - وهنا بدأت الأفكار الديمقراطية تغزو الدولة العثمانية، فكان مدحت أحد رواد التغيير فيها، وأخذ يطالب بتكرة إيجاد دستور للدولة. وعندما جاء السلطان عبد الحميد الثاني قام بتعيين مدحت باشا صدراً أعظم للفترة الثانية في ١٩ ديسمبر ١٨٧٦م. أظهر السلطان تجاوباً مع رواد الإصلاح ووافق على الدستور الذي لعبه مدحت باشا دوراً بارزاً في إعداده، فأعلن الدستور في ٢٣ ديسمبر، لذا عرف مدحت باشا بأبي الدستور. ولكن فرحة مدحت باشا لم تكتمل حيث أن فترة صدارته لم تستمر أكثر من ٩٩ يوماً ليغزل، وعين مدحت باشا والياً على سوريا في عام ١٨٧٨م، وعزل مدحت باشا بعد سنتين. ثم فتحت الدولة ملف اغتيال السلطان عبد العزيز وأتهم مدحت باشا مع سبعة من رفاقه بقتل السلطان عبد العزيز، وصدر حكم الإعدام بحقهم، ولكن السلطان عبد الحميد خفف

الأخوين عبد الله^{٢٧} وسعود^{٢٨} أبناء الإمام فيصل بن تركي^{٢٩} لإعادة هيمنة الدولة على نجد والأحساء ولا سيما أنهما خرجتا عن سيطرة الدولة المباشرة منذ قيام الدولة السعودية الأولى التي سيطرت على نجد وشرقي الجزيرة والحجاز وعسير.

ولقد مدحت باشا يستعد لتجهيز حملة عسكرية لإعادة سيطرة الدولة العثمانية على شرقي شبه الجزيرة العربية، ووضع خطة محكمة لتسهيل عمل الحملة، وتركزت تلك الخطة في الإعداد الجيد، وتجهيز عدد كبير من القوات العثمانية، وإشراك عدد لا بأس به من شيوخ وزعماء العشائر والقبائل العربية لتقف بجانب القوات العثمانية حتى لا تبدو وكأنها حرب بين الأتراك والعرب، فكل تلك العوامل ساعدت في حسم أمر المعركة لصالح العثمانيين، لذا أخذت مدن وقرى الأحساء تستسلم واحدة بعد الأخرى للقوات العثمانية، ولم تبق مقاومة تذكر، ودون أن تتكبد الدولة العثمانية خسائر وتضحيات كبيرة.

كانت مشاركة الكويت في هذه الحملة عاملاً رئيسياً في حسم نتائج المعركة لصالح العثمانيين، حيث ساهمت الكويت بأسطول بحري بلغ قوامه قرابة مائة سفينة، وقام هذا الأسطول بنقل المعدات والقوات العثمانية من جنوب العراق إلى

الحكم إلى السجن المؤبد لمزيد من المعلومات حول سيرته انظر إلى مذكراته المنشورة في كتاب:
علي حيدر بك، مدحت باشا: حياته - مذكراته - محاكمته، ترجمة: يوسف كمال بك حنته وصديق الخملوجي، ط ١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢. لمزيد من المعلومات حول انظر:

R.H. Davison, "MIDHAT PASHA", The Encyclopaedia of Islam², Leiden, 1991, Vol VI, pp. 1031-1035.

٢٧ عبد الله الفيصل: وهو أكبر أبناء الإمام فيصل بن تركي، وهو الحاكم الشرعي للدولة السعودية الثانية.

٢٨ سعود الفيصل: وهو ثاني أبناء الإمام فيصل بن تركي، خرج على سلطة أخيه عبد الله بعد عام واحد من ميلاده له، وحارب أخاه في أكثر من موقعة حتى انتصر عليه، توفي في الرياض عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٥م.

٢٩ الإمام فيصل بن تركي: يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية، واستطاع أن يستعيد أمجاد أسلافه وسيطر على نجد والبحرين وقطر وعمان، توفي في عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م.

رأس تتورة بقيادة شيخ الكويت عبد الله الصباح، كما شاركت فعلياً في حصار مدينة القطيف^{٢٠}. فضلاً عن أن الكويت كانت نقطة لتجمع القبائل العربية التي قررت أن تشارك بقوات برية في الحملة، وعندما اكتمل تجمع القوات خرجت من الكويت، وشاركت الكويت بقوة برية بقيادة الشيخ مبارك الصباح^{٢١} أخو الحاكم.

ولم تقف المشاركة الكويتية عند هذا الحد وإنما كشفت لنا الوثائق العثمانية عن الدور الحيوي الذي لعبه الشيخ عبد الله الصباح كوسيط في المفاوضات مع أمراء المدن من أنصار سعود الفيصل هذه التي كثيراً ما كانت تنتهي باستسلامهم للقوات العثمانية دون قتال. كما استخدم الشيخ عبد الله الصباح دبلوماسيته في إقناع حاكم قطر الشيخ جاسم آل ثاني^{٢٢} بالاتضمام تحت اللواء العثماني مما ساعد على مد النفوذ العثماني إلى شبه جزيرة قطر^{٢٣}.

هذا، وقد لعبت الكويت دور الوسيط في إيصال التعليمات من مركز الولاية في بغداد إلى ساحات القتال في الأحساء، وفي نقل الأخبار من الأحساء إلى البصرة التي كانت يدورها ترفعها إلى بغداد ومنها إلى استانبول، وذلك عن طريق تسيير سفن خاصة لهذه الغاية أشرف على تسييرها الشيخ محمد الصباح^{٢٤} أخو الحاكم والذي تولى إدارة أمور الكويت في أثناء غياب حاكمها الشيخ عبد الله الذي توجه إلى ساحات القتال مع القوات الكويتية التي شاركت في

٢٠ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 وثيقة رقم 2.

٢١ الشيخ مبارك الصباح: هو سابع حكام الكويت، استمرت فترة حكمه ما بين ١٢١٢-١٢٢٤هـ/١٨٩٦-١٩١٥م، وهو مؤسس الكويت الحديثة، تولى الحكم بعد أخيه محمد، توفي أثناء الحرب العالمية الأولى.

٢٢ الشيخ جاسم آل ثاني(١٢٣٦-١٢٣١هـ/١٨٢١-١٩١٢م) مؤسس دولة قطر الحديثة تولى الحكم بعد والده عبد الله الذي توفي عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م.

٢٣ جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، للقاهرة: دار الفكر، ١٩٩٧، ص ٢٢١.

٢٤ الشيخ محمد الصباح: وهو سادس حكام الكويت، تولى الحكم بعد وفاة أخيه عبد الله، حكم خلال الفترة ما بين ١٣٠٩-١٣١٢هـ/١٨٩٢-١٨٩٦م.

الحملة، فقام الشيخ محمد بتسيير سفينة شراعية كل اسبوع لنقل الأخبار عبر الكويت إلى الفار والبصرة ومنهما إلى بغداد^{٣٥}. ولزيادة الإطمئنان فقد طالب مدحت باشا بتعيين ساع يقوم بنقل البريد براً عن طريق الكويت^{٣٦}.

وإن كانت الوثائق العثمانية لا تذكر صراحة قيام سفن الكويت بنقل التعليمات من بغداد إلى الأحساء فإننا نستطيع أن نستنتج ذلك لأن السفينة إذا وصلت إلى البصرة لنقل معلومة ما فإنها لن ترجع خالية، ومن المقترض أنها كانت تزود ببعض الرسائل أو الردود على استفسار قائد الحملة أو كانت تنبي حوائج للجيش، وكان من الطبيعي أن يطلب من قائد السفينة الكويتي بان يحمل الرد إلى القوات العثمانية في الأحساء. ومما لا شك فيه أن موقع للكويت الجغرافي الواقع بين البصرة والأحساء ساعدها على القيام بهذا الدور.

ولو تسامنا هل كانت ستجج الحملة لولا مساعدة الكويت، لا شك أن موقف الحملة العثمانية كان سيختلف تماماً لو اتخذ حاكم الكويت موقفاً مغايراً من العثمانيين، وكانت الحملة ستواجه عدة مخاطر منها:

أولاً: كان على والي بغداد أن يجد البدائل الكفيلة بنقل الجيوش والمعدات العثمانية إلى سواحل الخليج العربي لإتزالها فيما بعد إلى اليابسة، وكان ذلك سيتعذر على العثمانيين وخاصة وأنهم كانوا يعانون من قلة السفن العثمانية العاملة في الخليج العربي. وتلافياً لهذا العيب فإن مدحت ألح على السلطات العثمانية عند بداية قدومه إلى بغداد في ضرورة شراء سفينيت تقومان بزيارة موانئ الخليج العربي بين فترة وأخرى.

وأدرك مدحت باشا أن غياب الدولة العثمانية عن الخليج هو الذي أعطى فرصة ذهبية للإتجيز للهيمنة على المنطقة، كما ساعد بلاد فارس على الإدعاء بتبعية البحرين لها. وأفاد بأن ذلك من شأنه أن يقنع مشيخات الخليج بوجود دولة

٣٥ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 وثيقة رقم 5.

٣٦ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44002 وثيقة رقم 1.

عثمانية قوية تستطيع أن تواجه الوجود الإنجليزي في مياه الخليج. إذا ساعد على جمع معلومات عن الوجود الإنجليزي في الخليج العربي ورفعتها إلى السلطات العثمانية لوضع التدابير والخطط لمواجهة ذلك. واستجابت الدولة لتلك المطالب وقامت بشراء سفينتين هما بابل وآثور (أو آشور) للقيام بهذه المهمة في الخليج.^{٢٧} ولكن حتى مع وجود هاتين السفينتين فهما غير كافيتين لنقل معدات حملة كاملة. وفي ظل عدم وجود السفن الكافية لنقل الجيوش العثمانية ومعداتهم إلى ساحات القتال كان ذلك يتطلب من العثمانيين سلوك الطريق البديل وهو الطريق البري، وكان الطريق شاقاً ومملاً نظراً لطول المسافة التي كانت ستقطعها القوات العثمانية المرابطة في بغداد وهي الجيش السادس، فلك أن تتخيل حالة الجندي والأليات العثمانية عندما تقطع كل تلك المسافة التي تقدر بالآلاف الكيلومترات من بغداد إلى الأحساء، إذ كانت القوات ستصل إلى الأحساء وهي منهكة القوى، قد أضناها طول الطريق، وقطع الصحراء القاحلة التي كانت ستمر بها. وعند وصولها إلى الأحساء ستكون القوات العثمانية فريسة سهلة لقوات سعود الفيصل، وهذا ما حدث مع الجيوش العثمانية التي أرسلت من بغداد وبلاد الشام للقضاء على الدولة السعودية الأولى، وكان مصيرها جميعاً الفشل.

ثانياً: مع وجود السفن العثمانية الكبيرة كانت الحملة غير قادرة على إيصال القوات والمعدات إلى سواحل الخليج، لأن معظم بلدان ومدن الخليج تمتاز بوجود موانئ طبيعية، وهذه الموانئ غير صالحة لرسو السفن الكبيرة والضخمة، وكان لابد من الاستعانة بسفن صغيرة الحجم تستطيع أن تدخل الموانئ لتفرغ حمولتها، لذا نجد أن السفن العثمانية الكبيرة التي شاركت في نقل المعدات والجنود لم تشارك في حصار موانئ الأحساء لأنها لا تستطيع الاقتراب منها، وإنما اكتفت بإطلاق قذائفها من بعد على تلك المدن والقلاع،

وهنا جاء دور السفن الكويتية الصغيرة الحجم فساهمت في نقل الجنود العثمانيين إلى ميناء رأس تنورة، وفي حصار مدينة القطيف لأنها أخف وزناً، وأسرع وأقدر على القيام بمناورات عسكرية.

ثالثاً: كان من المتعذر على السلطات العثمانية إبقاء الاتصال مفتوحاً ومستمراً بين القوات العثمانية في الأحساء وولاية بغداد بدون دور فاعل للكويت حيث إن طول المسافة يتعذر معه المحافظة على خطوط إمداد وتموين الجيش العثماني، وهذا يدفعنا إلى القول بأن الكويت ربما كانت هنا محطة رئيسية لتزويد الجيش العثماني بما يحتاج إليه من تموين ومواد غذائية، لأن عدد القوات المشاركة في الحملة بلغ قرابة ستة آلاف جندي، ولا شك في أن وجود هذا العدد الضخم يحتاج إلى خطوط إمداد وتموين مستمرة على مدار الساعة بين مركز الولاية في بغداد وإدارة العمليات العسكرية في الأحساء ونجد، وإن كانت الوثائق العثمانية المتعلقة بالحملة لا تشير إلى مسألة إمداد وتموين الجيوش العثمانية، ولكن هذا الأمر من البدهيات العسكرية التي لا بد منها لضمان نجاح أية حملة. وإذا لم تكن الكويت المحطة الرئيسية في ذلك فلا شك في أن السفن الكويتية قد لعبت دوراً حيوياً وقاعلاً في هذا الميدان، ولا سيما إذا علمنا بأن منطقتي نجد والأحساء خرجتا عن الهيمنة العثمانية منذ وقت مبكر مع ظهور الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر.

رابعاً: إن مشاركة الكويت في الحملة كان أمراً حيوياً ورئيسياً لإنجاحها حيث إن لمير الكويت لو اتخذ موقفاً معادياً من الحملة لما وجدت هناك خطوط للإمداد والتموين للقوات العثمانية بالإضافة إلى أن ظهور العثمانيين ستكون مكشوفة للأعداء الذين بإمكانهم أن يفرضوا حصاراً بحرياً على القوات العثمانية المحاصرة للقطيف، وهذا لن يتأتى إلا لإمارة مثل الكويت كانت تمتلك أسطولاً لا يستهان به في ذلك الوقت. كما أن دخول القوات العثمانية عن طريق البير إلى صحراء نجد كان سيعرضها إلى حرب أشبه ما تكون

بحرب العصابات حيث كان بإمكان القبائل العربية التي تعرف طرق البادية معرفة جيدة بأن تنصيد الجيش العثماني في عدة أماكن، وأن تقوم بمهاجمتها لأنها تعودت على طريقة الكر والفر في الحروب، وكانوا لا يحملون معهم إلا بندقية بسيطة ليكونوا خفيين الحركة بعكس أفراد القوات العثمانية الذين كانوا يحملون معهم المدافع والآليات الثقيلة، لذا فإن الكر والفر أو حرب العصابات تلائم ظروف الصحراء بشكل أفضل، وهذا ما اعتاده العربي في منطقته وهو غير الجندي العثماني القادم من بغداد إلى صحراء نجد.

وهذا يجعلنا ندرك أهمية مشاركة قبائل موالية لشيخ الكويت في صفوف العثمانيين، وأن تلك القوات البرية بعد أن تجمعت واكتملت عندها في الكويت خرجت تحت إمرة الشيخ مبارك الصباح الذي عايش الفترة الأولى من حياته في البادية ليتعلم معارفها ولاسيما في الرماية والفروسية، وقد استطاع أن يقيم علاقات وطيدة مع شيوخ القبائل البدوية^{٢٨}. وعندما خرجت القوات البرية من الكويت كانت تعرف دريها معرفة تامة، كما كانت على علم تام بكيفية التعامل مع أبناء الصحراء إذا حدث أي أمر طارى في الطريق.

خامساً: إن لاختيار الشيخ عبد الله الصباح كمفاوض مع أعداء الدولة دليل على حنكته وخبرته السياسية، وعلى ما كان يتمتع به من مكانة وسمعة طيبة بين أمراء منطقة الخليج العربي، لذا نجده ينجح في إقناع الطرف الآخر بما يريد. ولاشك في أن هناك أمراء عرب آخرون كانوا يقفون بجانب العثمانيين إلا أن إصرارهم على ذهاب الشيخ عبد الله مع الوفد العثماني دليل على قوة شخصيته وقدرته على إقناع الآخرين بما يريد وفق مبررات عقلية ومطلعية، وهذا ساعد على تسهيل مهمة القوات العثمانية في الأجساء ومنطقة الخليج العربي. ولو لم يشارك شخص مثل الشيخ عبد الله في الحملة

٢٨ ظافر محمد العمري، جيش الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح ١٨٩٦-١٩١٥م، ط١، د.م، ٢٠٠٠، ص ٥٥.

فقد كان من المحتمل ان يطول بقاء القوات لفتترات أطول، أو ربما فضل
أمره سعود الفيصل مقاومة العثمانيين بدلا من الاستسلام.
النتائج التي ترتبت على مشاركة الكويت في الحملة

وبعد أن نجحت الحملة العثمانية عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١م في استعادة نجد
والأحساء من جديد تحت جناح للدولة العثمانية^{٢٩}، أترك مدحت باشا وهو
السياسي البارح للدور الحيوي والرئيسي الذي لعبه أمير الكويت الشيخ عبد الله
الصباح- والذي بيناه فيما سبق- في مساندة الحملة وتقديم كافة الإمكانيات
والطاقات الكامنة لديه في خدمة القوات العثمانية دون أن يتصيد الفرصة لفرض
شروطه أو لتقديم طلب نلو الآخر في وقت كانت فيه للدولة العثمانية بحاجة ماسة
إلى خدماته، إن طبيعة وشخصية الشيخ عبد الله لم تكن من هذة الفئة من الناس،
وإنما قدم كل ما قدمه وكل ما كان يمكنه أنذالك ووضعه تحت تصرف للدولة
العثمانية مجانا، ويشير مدحت باشا إلى أن الأسطول الكويتي بقي حتى انتهاء
أمر الحملة^{٤٠}، ولم يطلب شيخ الكويت أي ثمن مقابل ذلك، وليس هذا فقط وإنما
ضحى بحياته وبحياة أخيه و مجموعة كبيرة من شباب بلده لخدمة للدولة
العثمانية حين قرر المشاركة في الحملة.

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن للشيخ عبد الله الصباح ادرك ان وقوفه إلى
جانب الدولة العثمانية إنما يمليه عليه إيمانه وقناعاته الشخصية بأن تلك الدولة
مهما ضعفت فإنها تمثل دولة الإسلام ، وإن من واجب كل شخص أن يسخر كل
طاقاته وإمكاناته ويضعها تحت تصرفها دون أي مقابل.

وتقديرا مولف الكويت ومساهماتها الكبيرة في الحملة العثمانية على
الأحساء عام ١٨٧١م، فرغ مدحت باشا عدة مطالب إلى الدولة العثمانية بشأن
الكويت من أجل أن يربط الكويت بالدولة العثمانية بروابط ووشائج أقوى وأمتن

٢٩ لمزيد من المعلومات حول هذه الحملة راجع: د. فيصل الكندري، المرجع السابق.

٤٠ علي حيدر بك، مدحت باشا: حياته- منكراته- محاكمته، ص ٢٤٣.

عما كانت عليه قبل أن يتولى ولاية بغداد وتتلخص مطالبه في التالي:

١- الاستمرار في منح شيخ الكويت لقب قائم مقام، وللعلم فإن الدولة العثمانية من تقرر منح هذا اللقب بعد مشاركته في الحملة، وإنما منحت هذا اللقب قبل الحملة، وربما كان ذلك أيام نامق باشا والي بغداد السابق، لأن للوثائق العثمانية التي كتبت في أثناء الحملة ويعدها^{٤١} كلها تتفق على أن شيخ الكويت كان يحمل لقب قائم مقام وهي تورد العبارة التالية: "كویت قائم مقامی شیخ عبد الله الصباح" أي "قائم مقام الكويت الشيخ عبد الله الصباح"، ولم أجد إلا وثيقة واحدة تطالب بإسناد لقب قائم مقام لشيخ اكويت بشرط تحقيق الأمن^{٤٢}.

وكان هذا لقباً تشريفياً، حيث لم يقترن بهذا اللقب أية التزامات يقوم بها حاكم الكويت إلى الدولة العثمانية، ولا يعنى هذا لقب أى شكل من أشكال التبعية سواء كانت فعلية أو اسمية، لأن شيخ الكويت حملها اللقب قبل الحملة، ومع ذلك لا تشير الوثائق العثمانية - رغم كثرتها - إلى صدور أى فرمان عثمانى يأمر شيخ الكويت أو يطلب منه المشاركة بالحملة كونه تابع للعثمانيين، أو كونه موظف عثمانى، ولم صدور مثل هذا فرمان دليل على عدم تبعية الكويت إلى الدولة العثمانية، وبالتالي فإن مشاركة شيخ الكويت في الحملة لم تكن بسبب أوامر صدرت إليه من السلطان اعثمانى أو من والى بغداد، وإنما بسبب دوافع وقناعات شخصية^{٤٣}.

٢- أرسل منحت باشا برقية إلى الصدارة العظمى طالب فيها بتوجيه رتبة الاسطبل العامرة إلى حاكم الكويت للشيخ عبد الله الصباح، ومنح نشاتين مجيدتين

٤١ انظر على سبيل الوثيقة التي تحدث فيها منحت عن وصول القوات العثمانية إلى الكويت وأن شيخها ورجالها خرجوا إلى البحر لاستقبال القوات العثمانية بالفرح وذبح الخراف. لوشيف رئاسة الوزراء BDA ، براءة داخلية 44002 وثيقة رقم 4.

42 BDA, Ayniyat 851, s27 no2.

٤٣ جيورجي بوندار يسكي، الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤، ص ٨٢.

من الرتبة الخامسة لأخويه مبارك ومحمد لدوريهما في مساندة القوات العثمانية في أثناء حملة الأحساء^{٤٤}. ورفعت السلطات العثمانية عرضة إلى السلطان العثماني في ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٨٨ هـ/ ٢٠ يونيو ١٨٧١م، ووافق عليها السلطان العثماني بعد يومين أي في ١٣ جمادى الأولى^{٤٥}.

٣- تحدث مدحت باشا عن الكويت في مذكراته التي نشرها ابنه علي حيدر ومن ضمن ما ذكره عن الكويت بورد التالي: "... فقد دعاهم مدحت باشا، واعفاهم من الرسوم الجمركية وغيرها من التكاليف الأميرية... ودعا عبد الله بن الصباح بقائمهقام للكويت، وأبقاه كما كان وأبقى غيره من الموظفين أيضا، ولم يغير شكل حكومتهم"^{٤٦}.

ومن الفقرة السابقة نستخلص ما يلي:

- أن الكويت قضاء مستقل، يتوارث الحكم فيها أسرة آل الصباح، على أن يكون للشيخ مستقلا في شئونه الداخلية والخارجية، وهذا ما نستشفه من قول مدحت باشا بأنه "لم يغير شكل حكومتهم".

- لا يلتزم أهالي الكويت بدفع أية رسوم أو ضرائب للباب العالي. ان قبول الكويت بماعرضه عليه مدحت باشا كان مشروطا بعدم دفع أية تكاليف إلى السلطات العثمانية.

- إلزم السفن الكويتية برفع العلم العثماني، مع إعفائها من الرسوم^{٤٧}، لأن السفن الكويتية كانت تصل إلى الهند وشرق أفريقيا، وسواحل بحر العرب، وكانت تتاجر مع البصرة لذا فإن رفع راية الدولة بمثابة هوية لها، وللاستفادة

٤٤ لرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 Irade Dahiliye وثيقة رقم

4.

٤٥ لرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 وثيقة رقم 6 BDA, Ayniyat

851, s119 no1.

٤٦ علي حيدر بك، مدحت باشا: حياته- مذكراته- محاكمته، ص ٢٢٩.

٤٧ أحمد الرشيد وآخرون، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ص ١١١-١١٢.

من الاتفاقيات التجارية المبرمة بين الدولة العثمانية وبريطانيا كتخفيض نسبة الرسوم مثلا وغيره.

٤- عندما وصل مدحت باشا إلى بغداد وجد أن هناك اراضي زراعية شاسعة مهمله، ولا يستفاد منها بشيء، وفكر بطريقة للاستفادة منها فأخذ يوزعها على رؤساء القبائل والعشائر ليكسب بها ولاءهم، وليقوموا باستصلاحها وبررعتها، ومن ثم دفع الضرائب المترتبة عليها للدولة، وبهذا استطاع أن يحقق عدة أهداف في آن واحد، ومن هذا المنطلق منح شيخ الكويت أراضي زراعية في الفاو تنفيذاً لهذه السياسة. وتشير الوثائق العثمانية بأن مدحت باشا منح الشيخ عبد الله نصباح مساحات كبيرة في ناحية تعرف باسم تجر في منطقة الفاو لمدة سبع سنوات، وقدرت إيرادات تلك الأراضي بقيمة ١١,٥٠٠ (أحد عشر ألفاً وخمسمائة) قرش.

والجدير بالذكر أننا لا نقصد بالمساحات الزراعية أنها كانت بساكنة مثمرة، كما يحس حذائق ذات بهجة يتغنى بها الشعراء والأدباء، وإنما كانت أرضاً بور، فقام شيوخ الكويت باستصلاحها، وجلب المياه لها، واختاروا أجود أنواع النخيل ليراعها حتى غدت بعد فترة أراضٍ مثمرة، وغدت مزارع الكويتيين مثلاً حدى به وإن امتلاك الكويتيين للأراضي الزراعية في البصرة لم يقف عندما سح نهم، وإنما أخذ تجار الكويت فيما بعد يتسابقون على شراء مثل تلك الأراضي، وحدث ذلك عندما بدأت العائلات الكويتية تشتري الأراضي منذ عام ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠م، وأنفقوا عليها مبالغ كبيرة حتى تصبح مثمرة، وبلغ مجموع الأراضي المستمكة للكويتيين حوالي ١٨٦٥٠ جريباً (والجريب يعادل ٣٩٦٧ متر مربعاً)^{٤٨}.

٤٨ كان ذلك في النصف الأول من القرن الماضي، وكانت تلك الأراضي تزرع نخلاً كبيراً قبل اكتشاف البترول، لذا لمالك تلك المبالغ لعاب الحكومات العراقية، فأخذت تسيطر حتى وضعت يدها على معظم ممتلكات الكويتيين في جنوب العراق. لمزيد من المعلومات حول ممتلكات الكويتيين راجع يوسف بن محمد النصف، نخلك، ط٥، الكويت، ١٩٩٧، ص ٥٥-٣٣.

٥- كنا قد ذكرنا أن السلطات العثمانية وافقت على دفع المبلغ المذكور من خزينة ولاية البصرة لشيخ الكويت نظير قيامه بحماية ميناء البصرة، ولسبب أو لآخر قامت تلك السلطات بإيقاف ذلك فترة من الزمن، ولما جاء مدحت باشا قرر إعادة صرف ١٥٠ كارة من تمور البصرة لشيخ الكويت نظير خدماته المجانية ومشاركته بنفسه في حملة الأحساء، ورفع هذا الطلب إلى وزارة المالية لاتخاذ اللازم، ووافق مجلس شورى الدولة، والسultan العثماني على هذا الطلب في رجب عام ١٢٨٩هـ/ سبتمبر ١٨٧٢م^{٤٩}.

٦- جرت العادة عند العثمانيين إعطاء رؤساء القبائل وشيوخ العشائر خلعا (وهي ما يعرف حاليا باسم البشت) لكسب تليدهم ورضمان ولانهم للدولة، ولكن تشير الوثائق العثمانية إلى أن شيوخ الكويت يختلفون عن غيرهم ولا يمكن مقارنتهم برؤساء القبائل الأخرى لذا وجب تكريمهم بشيء خاص على قدر مكنيتهم عند الدولة، ورفعت للدولة من قيمة تلك الخلع التي تصرف لشيوخ الكويت لتبلغ سبعة وعشرون ألفا وثمنامائة وكسور قرش من ضمن ميزانية ولاية البصرة وذلك في علم ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م^{٥٠}.

٧- إن المناظر في الوثائق العثمانية يستنتج بأن الكويت كانت تعمل معاملة خاصة بسبب الدور الحيوي الذي قامت به في خدمة ومساندة الدولة، لذا لم تحاول الدولة العثمانية أن ترسل أية قوات عثمانية لترابط في الكويت على الرغم من الإرتباط الوثيق الذي لمسه بعد الحملة، وإنما اصرت السلطات العثمانية على عدم المساس باستقلالية الكويت. وهذا خلاف ما حدث مع قطر مثلا حين ارتبط حاكمها جاسم آل ثاني بالدولة العثمانية مساعى الشيخ عبد الله الصباح الذي نجح في إقناعه برفع الراية العثمانية بعد نجاح الحملة العثمانية على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، فبادرت الدولة العثمانية إلى إرسال حامية عثمانية مكونة من مائة جندي وعدد من المدافع إلى قطر لتأكيد تبعيتها للدولة العثمانية^{٥١}.

^{٤٩} BDA, Ayniyat 851, s163 no2 & s? no1.

^{٥٠} BDA, Ayniyat 851, s243 no1.

^{٥١} لمزيد من المطومات حول المدافع التي دفعت جاسم آل ثاني قبول السيادة العثمانية راجع: فيصل الكلدي، المرجع السابق، ص ٧١-٧٦.

الخلاصة

رأينا في هذه الورقة كيف ان الكويت كانت تدفع رسوماً للدولة العثمانية نظير رفع العلم اعثماني، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا إذ سرعان ما كانت الدولة العثمانية بحاجة إلى خدمات شيخ الكويت كثيرا للاستفادة من أسطوله في حماية ميناء البصرة من تعديات القبائل البدوية الموجودة في جنوب العراق، وفي المقابل قامت السلطات العثمانية بدفع مبالغ سنوية لشيخ الكويت.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي حاولت الدولة العثمانية تقوية هيمنتها على منطقة الخليج عن طريق خلق إدارة قوية، فأرسلت حملة على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ونجحت الحملة في إعادة السيطرة العثمانية على نجد والأحساء بفضل المساعدات التي قدمها شيخ الكويت للحملة العثمانية، وفي المقابل استقادت الكويت كثيرا من تلك المساعدة وأدى ذلك إلى توثيق الروابط بين الكويت والدولة العثمانية والتي استمرت لسنوات بعد الحملة. وأوضحت الدراسة أن الكويت كانت تتمتع بالاستقلال عن الدولة العثمانية منذ فترة مبكرة.

ولكن لم يستمر اهتمام الدولة العثمانية بالخليج العربي كثيرا فسرعان ما انشغلت الدولة بحروبها في البلقان، فتعرض وجودها العسكري للتدهور بسبب كثرة تمرد القبائل على الحكم العثماني، بسبب جهل ولاية بغداد في كيفية التعامل مع أبناء منطقة الخليج، ولم يأخذوا بالإصلاحات الكبيرة التي قام بها مدحت باشا، وأهملوا المنطقة فكانت عرضة لانتشار الأوبئة والأمراض^{٥٢}، ولهيمنة قوى أوروبية أخرى وجدت الطريق أمامها مفتوحا لتسيطر على الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية.

٥٢ أحمد الرشيدى وآخرون، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ص ١١٢.

الملاحق

الأرشيف البريطاني

Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Archive Edition, 1994,
p580 (R.15.5.59)

بسم الله

مضمون هذه الأحرف بانى أنا يا صباح ابن جابر بنيليتى عن ابى جابر ابن عيد الله الصباح حاكم الكويت قد رضيت وقبلت عن نفسى وعن رعاياى والمتعلقين على باقرار الذى قرره جناب ذى الشوكة والإجلال الأقم القبطان هل باليوز خليج فارس مع مشايخ العرب المصالحين من استقامة المهادنة والصلح عن صدور التحديات والتعرضات فى البحر وأن لا لى حرب ولا جدال فى البحر مع جميع مشايخ العرب الداخلين فى سلك الصلح المهادنة مع جناب ذى الاقتدار والمفخر السركار الأفرنسى (الفرنسى) الأقم وأن أصون رعاياى والمتعلقين على من التعدى والتعرض على سائر الطوائف المصالحين فى البحر، وإن لا تدر الله تعالى أحد تجراً وتعرض رعاياى والمحبوسين (المصوبين) على فى البحر فلا يكون فروا أقوم لأخذ التصلص والانتقام بل أنترم برفع الأمر لجناب على الجاه الباليوز صلح للمذكور حتى يقوم بلازم التنبية والتصاص بعد تحقيق الأمر وأجريت مع جناب المشار إليه مضمون ما نكر من حين التحرير الذى هو شرة ربيع الأول سنة ١٢٥٧ هـ إلى مدة سنة كاملة هذا والله خير للشاهدين.

صباح عبد ابن جابر

الوثائق العثمانية المترجمة

عنايات 851 ص 20 وثيقة رقم 3

تقرر إقامة جمرك فى موضع يسمى الكويت يقع بين البصرة ومسقط ويمثل مفتاح البصرة، وهو منخل ومخرج للأشياء المهربة، وقد تم إرسال قولم بالرسوم وخلافه الموجودة فى الجمرك الأخرى وختماً جمركياً إلى مشيخة الكويت التى سبداً بمعرفتها، إلا أنه قد لوحظ قيامهم ببعض الأعمال المخالفة للنظام نظراً لجهلهم بقواعد ونظم الجمرك، وبناءاً على ذلك وردت مذكرة من أمانة الرسوم بخصوص استفساركم عن حقيقة الأمر من أجل تعيين وإرسال موظف إلى هناك فى الوقت كان يوزم فيه تحقيق إيرادات. وغنى عن البيان أن حاصلات الرسوم تعد أحد الإيرادات المهمة للخزينة الجارية، لذا يلزم حسن إدارتها وحمايتها، وليس من شك فى أن تعاملكم فى هذا الشأن سيتم البناء على هذا الهدف.

ونظراً لأن إدارة هذا النوع من الرسوم بأداة مخصوصة وخييرة سيكون من مقتضيات الأصول المرعية فإتة فى حالة التقييم بالتحقيقات اللازمة على النحو المذكور، ووصول حصول الإيرادات العامة إلى الدرجة المطلوبة فعليكم باعتبار إجبارنا بحقيقة الأمر. والأمر فى هذا الشأن لسيدى. فى ٢٣ محرم ١٢٨٤.

عنايات 851 ص 27 وثيقة رقم 2

بناء على لتحريرات الجرابية التى تتضمن بعض الإيرادات بشأن تأجيل الجمرك المزمع إنشاؤه فى موضع يسمى الكويت فقد تم الاتصال بأمانة الرسوم فى هذا الشأن، ونظراً لما ورد

في البرقية السابقة من ناظر الرسوم في بغداد في هذا الشأن من مرور الحيوانات التي تصدر من البصرة إلى البلاد الأجنبية عبر الكويت دون رسوم، وقرار إقامة جمرك في الموضع المذكور على النحو السابق، وبناء على القرار الصلح بتعيين وإرسال موظف إلى هناك براتب ألف قرش لتحصيل الرسوم عن الحيوانات، وتعيين كاتب أيضا براتب خمسمائة قرش. فقد تم الاستئذان بالتنفيذ، وأرسل إلى شيخ الموضع المذكور تعريفه بالرسوم والتطبيقات، ولكنه رد بأن الأهالي لم يوافقوا على إقامة الجمرك المذكور، وإذا أصر على موقفه فسيكون من الضروري إرسال قوة عسكرية إلى هناك. ولهذا فقد لوحظ بأنه من المناسب تأجيل هذا الموضوع الآن، وفي حالة إقرار لاحقا قسيتم بإلزامكم بعمل اللازم، وقد بدى هذا للمصلحة والحال. وتعد الأمانة المرجع الرسمي في هذا وقد بدى هذا مناسبا للمصلحة والحال. وتعد الأمانة المرجع الرسمي في هذا الشأن وفي الأمور الخاة بالرسوم والجمرك، وعندما يلزم الأمر عمل شيء جديد ولساسي يتم الإخبار أولا، ولأن الأمر يستلزم انضباط الإدارة فذلك منوط بمجهوداتكم، والأمر لحضرة سيدي. في ٢٢ جمادى الآخرة ١٢٨٤هـ.

عينية 851 ص 162 وثيقة رقم 3

ورد في برقيتكم أنه تقرر إسناد الحصة الميرية في البساتين التي يتولاها قائم مقام الكويت عبد الله الصباح في كنف تجر في الفاو وقترها أحد عشر ألفا وخمسمائة قرش عن عام ٨٧ إلى عهدة المذكور مدة سبع سنوات بشرط دفع المبلغ المذكور كل عام، وتطلبون الإذن في ذلك، وإذا ظهر مخالفة الأصول في الالتزام بليارات المأمورية، فعن الحكومة ستراجع المذكور للاستفادة من رأيه ومعاونته في أمر الإصلاحات هناك مثلما اتصف بحسن الخنمة في السابق في الاستيلاء على منطقة نجد طبقا للإشعار والمعلومات الواردة. وقد رؤى من المناسب تكريمه ليمتنسى مع المصلحة، وإسناد البذل المقرر للحصة الميرية على النحو الموضح ولمدة سبع سنوات إلى عهده، وتحويل الأمر إلى وزارة المالية لقيام الخزينة بالتنفيذ. في ٥ رجب ١٢٨٩.

عينية 851 ص 163 وثيقة رقم 2

وردت بوقية من ولاية بغداد بخصوص إعطاء مشايخ الكويت الواقعة في الولاية المذكورة محصول المائة وأربعين صغيرا من النخيل (بوز قرق صغير كاره خرما) المخصصة سنويا من حاصلات لواء البصرة، وقد قدمت البرقية المذكورة مع منكرة وزارة المالية في هذا الشأن إلى مجلس شوري الدولة.

ونظرا للإشعار الوارد فإن المخصصات تعدل محصول بساتين الكويتيين التي تم الاستيلاء عليها سابقا في البصرة، وعندما تم الاستيلاء على الموضع المذكور في الماضي، علق هذا العطاء على الإيفاء بالشروط التي عرضت عليهم، ونظرا لتحقيق معظم هذه الشروط، ولحسن خدمة قائم مقام شيخ الكويت عبد الله الصباح بحراء وأخيه مبارك برا وبالمجان، فبجه يلزم إعطاء مقابل هذه الخدمات نقدا، ولكن لأن الأمر يتطلب إعطاءهم الكثير من الأشياء مقابل هذه الخنيمات.

فقد تقرر إعطائهم مقابل هذا كله مائة وخمسين طنا من التمر عينة سنويا من الإيرادات المحلية المقيدة أو طبقا للقواعد السابقة، وإيصال المقدار الذي توقف فترة بناء على هذه القواعد، وإعطاء مند للقيام مقام المذكور، وإسناد منصب القائم مقام إليه شرط تحقيق الأمن، وإلزامه بالخدمات اللازمة كما ورد في إشعار أوزارة المذكورة إعطاء عبدالله الصباح المذكور سنويا بطل الكمية المقررة له وقدرها مائة وستة عشر صغيرا من التمر بالسعر المتداول من أموال اللواء المذكور. ونظرا لما أكده الإشعار من حسن خدمة المذكور في مسألة نجد مالا وبدنا فبجه

لائق بالتكريم، والتقدر المخصص من التمر لن يقرر ثانية، فقد كان يأخذه من البصرة في السابق، ثم توقف فترة من الوقت، ثم أعيد صرفه مكافأة لخدماته.
وقد روى من المناسب إعطاء المخصصات السابقة والاحقة طبقا للحساب المذكور ويبلغ مائة وخمسين طنا من التمر سنويا من أموال اللواء المذكور. وقد تم إحالة الموضوع إلى وزارة المالية لعمل اللازم. في ٢٥ رجب ١٢٨٩.

عينات 851 ص 16 وثيقة رقم 2

إلى ولاية بغداد
ورد إشعار من ولاية بغداد بخصوص إعطاء شيوخ الكويت محصول التمر للبالغ مائة وأربعين كاره صغيرة من حاصلات لواء البصرة سنويا (سوى مخصص أولان يوز قرق صغير كاره خرما محصولاتندن) مقابل حاصلات البساتين الخاصة بالكويتيين التابعين لولاية بغداد (بغداد ولايتى دالخنده كانن كويتولون مقدما) التى سبق الاستيلاء عليها فى البصرة، ونظرا لتحقق معظم الشروع التى تم عرضها أثناء السيطرة على الموضوع المذكور، وما قام به عبد الله الصباح قائم مقام الكويت من الخدمة الحصة مالا وبدنا فى مسألة لجد، ولزوم إصدار أمر رسمى للمذكور بإعطائه مائة وخمسين طنا من التمر (يوز اللى تونيلتو خرما) من أموال اللواء المذكور سنويا مقابل المخصصات السابقة مكافأة على خدماته.
فقد تم الاتصال بوزارة المالية، ووافق مجلس شورى الدولة، وجتاب السلطان على ما جاء فى إشعار الولاية، وأبلغت وزارة المالية بإصدار الأمر العالى، وإرساله إلى الولاية المذكورة. فى ٢٢ رجب ١٢٨٩.

عينات 851 ص 243 وثيقة رقم 1

إلى ولاية البصرة
بناء على الإشعار الوارد من طرفكم بخصوص تسوية بمبلغ خمسمائة قرش من المصاريف الخاصة من مبلغ السبعة والشرين ألفا وثلاثمائة وكسور قرش لثمان الخلع التى أكتسبت وأعطيت لمشايخ الكويت، وبخصوص المبلغ المتبقى، وبناء على ما اتضح من مضجعة مجلس شورى الدولة، وبناء على الاتصال الذى جرى مع وزارة المالية، فإنه جرت العادة قديما بإعطاء موظفى الدولة خلعا ومبيلاتا لرؤساء الضائر والقبائل.
ونظرا لأن المشايخ المذكورين لا يقارنون برؤساء القبائل الأخرى، فإنه من سبيل توثيق تبعيتهم وارتباطهم بالسلطنة المنتية، لزم إعطائهم أشياء مثل الخلع والألوية، وبناء على هذا، وبعد الاستئذان فقد صدرت الإرادة السنية السلطانية بخصوص حساب الخمسمائة قرش التى دخلت ضمن موازنة ولاية البصرة من المبلغ المذكور، وتسوية المبلغ المتبقى وهو ستة وثمانون ألفا وثمانمائة وخمسة وستون قرشا أيضا من الأموال المحطية، وإيلاغ وزارة المالية لعمل اللازم. فى ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٣.

مضمون هذه الاحرف ما في انا يا صاح بن جابر بن جابر بن جابر بن عبد الله
الصلح حاكم الكويت قد رضىت وقبلت على نفسي عن رعاباي والتعلين على
بالقران الذي قرره جناب ذي الشكر والاحلال الاهل الا فخر الصبان هل بالبيرز
خلج فارس مع مشايخ العرب الصالحين بن استقامة المهاوند والصلح عن صدره
السيدات والشرفاء في الجردان لاني حرب ولا جدال في الجرم مع جميع شايخ
العرب التعلين في سلمنا الصلح والمهاوند مع جناب ذي الاقتدار والمفاخر
السيد والاشرف في الافخر وان احسن رعاباي والتعلين على من الشدي والتعريض
على مناشرة الطوائف الصالحين في الجردان لا قدر الله تعالى احد تجرى وتعرض رعاباي
والحويدين على في الجردان لا يكون فردا اقدم لاخذ القصاص والانتقام بل التزم برفع
الامر لجناب عالي الجاه الباليوز صاحب المذكرة حتى يقرب بلازم التيبه والقصاص
بعد تحقيق الامر واحريه مع جناب المشا واليه خصمون ما ذكر من حين التمر الذي
هو عنده ربيع الاول سنة ١٢٥٢ الى مدة سنة كاملة هذا والله خير الثامدين

صاح
عنه
ابن جابر

